

دراسة تراث المسجد العتيق في منطقة برج بن عزوز (بسكرة)

A Heritage Study of the Ancient Mosque in the Bordj Ben Azzouz Region (Biskra)

د. / سخري عادل

مخبر التصميم المعماري ومماثلة الأشكال وأجواء الأحيز / قسم الهندسة المعمارية / جامعة بسكرة.

البريد الإلكتروني: a.sekhri@univ-biskra.dz

الملخص:

نتناول من خلال هذه الورقة البحثية دراسة تراث المسجد العتيق في منطقة برج بن عزوز بمدينة بسكرة، حيث اخترنا دراسة المسجد العتيق في منطقة برج بن عزوز، والذي يعد من أقدم المساجد في منطقة الزاب، وله مكانة روحية ودينية وعلمية كبيرة بالمنطقة ودور ريادي ثقافي. وسنحاول الإجابة على التساؤلات المتعلقة بدور هذا المسجد العتيق قديما في منطقة برج بن عزوز، التي تعتبر بأنها واحة علمية ثقافية بفضل العالم العلامة صاحب الطريقة الرحمانية العزوزية سيدي محمد بن عزوز.

وقد اخترنا "المنهج الوصفي التحليلي" أداة للدراسة التحليلية للمسجد العتيق، وبعد التحليل استخلصنا أن ملامح وهوية عمارة المسجد العتيق المحلي لها دور كبير في الأنظمة التخطيطية العمرانية التقليدية وفي الأنماط البنائية المحلية، والتي أعطت مفهوم واضح حول البيئة العمرانية التقليدية. وأخيرا يجب التنويه إلى أن أهم توصيات بحثنا تتمثل في فتح مجال بحث لحماية تراثنا، وذلك بإعادة ترميم هذا المسجد العتيق لأجل إحياء العمران التقليدي بواحة برج بن عزوز، من خلال المحافظة على هذا المسجد العتيق الذي يعد من التراث العمراني والمعماري بالمنطقة، ولابد من حمايته وإعادة إظهار قيمته ومكانته بالمنطقة.

الكلمات المفتاحية: المسجد، الواحة، المساجد العتيقة، برج بن عزوز.

Abstract:

In this study, we examine the built heritage of the ancient mosque of Bordj Ben Azzouz in the Wilaya of Biskra. This case study was selected due to its significant spiritual, religious, scientific, and cultural importance. The research seeks to address several questions concerning the role of this mosque within the oasis region, where it is regarded as a scientific and cultural oasis associated with the religious scholar of the Rahmaniya al-Azzouzia order, Sidi Mohamed Ben Azzouz.

The study adopts a **descriptive-analytical methodology** to analyze the architectural features of the ancient mosque. The findings indicate that the characteristics and identity of local traditional mosque architecture played a major role in shaping traditional urban planning systems and local construction models, thereby providing a clear understanding of the traditional urban environment.

Finally, the study emphasizes the necessity of opening new research avenues aimed at safeguarding this heritage through the restoration and preservation of the ancient mosque, which represents an important element of the urban and architectural heritage of the region and reflects its historical and cultural value.

Keywords: Mosque, Oasis, Ancient mosques, Bordj Ben Azzouz.

1. المقدمة

تتباين المساجد بتباين بيئاتها بالرغم من أن جميعها يأخذ ملامحه من المسجد النبوي الذي كان بسيطاً فهو لم يتعد كونه فناء مستطيلاً محاطاً بأربعة جدران من اللبن والطين وسقفه من الجريد والخص وعمده من جذوع النخيل¹، بينما اجزاءه الأخرى فهي مفتوحة للسماء²، إلا أنه بعد توسيع رقعة الإسلام استلزم الأمر إضافة بعض العناصر للمسجد، وذلك لإعطاء سمة وشخصية تعريفية للمسجد³.

يمثل المسجد النبوي المرجع، فنجد من المسلمين من أبدع في خلق نماذج عدة تترجم هويتهم وثقافتهم وتقاليدهم العريقة كأهالي منطقة الزيبان، فهوية منطقة الزيبان هي صفاتها التي تعبر عن شخصيتها الحضارية والتي تميزها عن باقي المناطق الأخرى في الجزائر، فالهوية في العمارة هي التي: "ترتكز على مبدأ نظري مفاده أن العناصر والأشكال والمفردات المعمارية تعكس نمط حياة الشعب أو المجتمع الذي ينتجها، وهذا الأخير يتضمن العادات والتقاليد وأساليب التفكير والمعتقدات الدينية والقيم الاجتماعية"⁴، فمنطقة برج بن عزوز بولاية بسكرة عرفت تشييد المسجد العتيق، الذي يعد من أقدم المساجد في منطقة الزاب والذي يمثل أيضاً هوية المنطقة، وله مكانة روحية ودينية وعلمية كبيرة.

وقد كانت تساؤلاتنا تتعلق أساساً حول البحث عن تراث المسجد العتيق قديماً ودوره في عمرنة واحة برج بن عزوز. وقد وضعنا فرضيات علمية للإجابة عن تساؤلاتنا، وهذه الفرضيات هي: ملامح وهوية عمارة المسجد العتيق المحلية لها دور كبير في الأنظمة التخطيطية العمرانية التقليدية، كما أن لها دور أيضاً في الأنماط البنائية المحلية لمنطقة برج بن عزوز.

2. تقديم منطقة الدراسة:

¹ - YUSUF AWAN, M.; MUJAHID, B.; GULZAR, S.; ZAFAR, M., 2014, pp. 22-37.

² - BENKARI-BOUDIDAH, N., 2004, p. 269.

³ - UREY, O., 2013, pp. 95-107.

⁴ - النعمان، حسام يعقوب؛ الطحلاوي، رضوان، 2008م، ص ص. 311-341.

من خلال هذه الورقة البحثية تم اختيار المسجد العتيق بمنطقة برج بن عزوز، لأنه من أقدم المساجد في منطقة الزاب، فقد بني "المسجد العتيق" في سنة 1920م من طرف البناء الشهير "قاعة القماري"⁵.

3. تقديم منهجية التحليل:

- سننتبع في دراسة المسجد المنهج الوصفي التحليلي من خلال المرور على:
- الدراسة التاريخية للمسجد: تقديم تاريخ ومعطيات المكان للعينة المختارة للدراسة بمنطقة برج بن عزوز، وذلك لاستخراج الميزات الخاصة وفهم صورة المسجد تاريخيا.
 - الدراسة العمرانية للمسجد: تحليل الموقع العمراني للعينة المختارة للدراسة بمنطقة برج بن عزوز.
 - الدراسة المعمارية للمسجد: من خلال دراسة أسلوب بنائه ونمط عمارته (تخطيطيا وتصميميا).

4. مفاهيم تتعلق بالمسجد والواحة:

1.4 المسجد:

المسجد لفظ مأخوذ من الفعل "سجد"، ومعناها اللغوي هو مكان الخضوع والتذلل لله، أما المسجد شرعا فهو المكان المعد للصلوات⁶، ويمكن أن يعرف المسجد بأنه مكان مخصص للعبادة، يحتوي على فراغ رئيس (قاعة الصلاة) لممارسة شعائر الصلوات. وقد يسمى المسجد بالجامع⁷، فلفظ الجامع هو وصف للمسجد الكبير، لأنه مهياً لإقامة صلاة الجمعة فيه الأمر الذي يتطلب مساحة أوسع⁸.

2.4 الواحة:

الواحة هي عبارة عن المنطقة الخضراء في منتصف الصحراء، وتتمحور حول الينابيع الطبيعية أو الآبار الارتوازية، فهي تقوم على الثلاثية الأساسية (الماء، القصر، النخيل)⁹، ومن الممكن أن تكون الواحات على صورة سهل في الصحاري، التي ليس لديها كثبان من الرمال، وتتمو فيها أشجار النخيل، وبذلك الواحة هي من أجمل المظاهر الطبيعية على وجه الكرة الأرضية، بما أنها تتميز بطبيعتها الخضراء بالإضافة إلى وجود كميات كبيرة من المياه العذبة فيها.

5. التعريف بمنطقة برج بن عزوز (الخريطة 01، 02):

⁵- معروف، إيمان، 2014م، ص. 14.

⁶- سخري، عادل، 2005م، ص. 11.

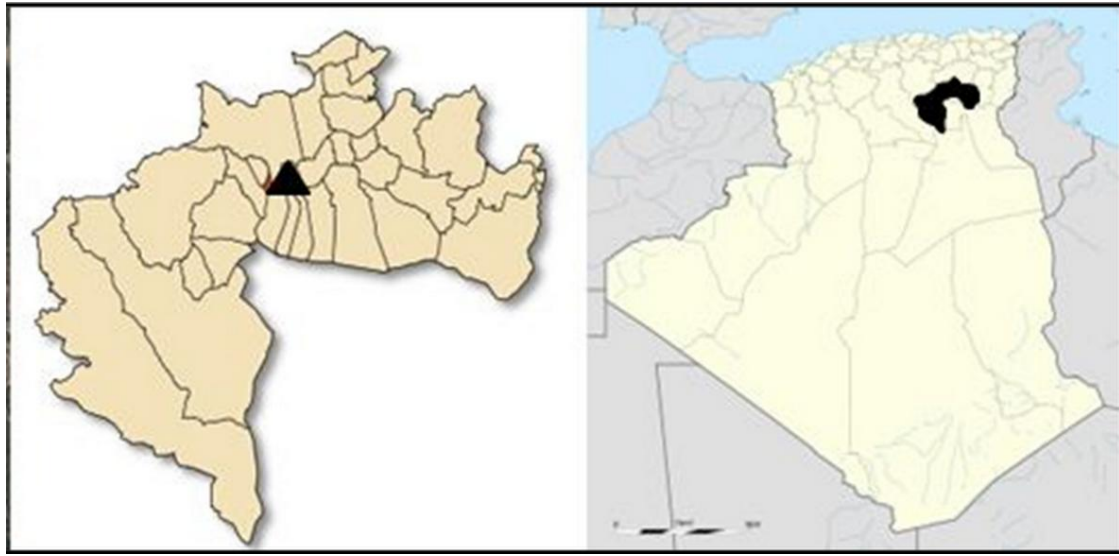
⁷- شحادة، زياد محمد، 2010م، ص. 10.

⁸- الولي، طه، 1988م، ص. 159.

⁹- جهينة بوخليفي، قويدر ؛ بن ميسي، أحسن، 2016م، ص ص. 11-23.

بلدية برج بن عزوز هي إحدى بلديات ولاية بسكرة تبعد حوالي 41 كم عن مقر الولاية، تقدر مساحتها بـ 23.20 كم²، يقيم بها 13 ألف نسمة، يحدها من الشمال: طولقة وليوة ومن الجنوب والشرق: كل من ذراع البطيخ وليشانة، ومن الغرب: الغروس وفوغالة.

تمتاز بلدية برج بن عزوز التابعة لدائرة طولقة باحتوائها على النخيل من نوع "دقلة نور"، كما تتميز بوفرة الأراضي الصالحة للزراعة وجودة المحاصيل، ومن هنا شكلت منطقة البرج واحة نخيل وأشجار مثمرة. أما الاسم الأصلي للمنطقة فهو: البرج وأول من اقترح تسمية برج بن عزوز هو العلامة الطيب العقبي لما زارها رفقة عبد الحميد بن باديس.



الخريطة 02: خريطة ولاية بسكرة.

الخريطة 01: خريطة الجزائر.

عن: مدونة برج بن عزوز (<https://albordj.blogspot.com>)

6. تراث المسجد العتيق ببرج بن عزوز:

1.6 لمحة تاريخية للمسجد العتيق :

المسجد العتيق يعتبر من أقدم المساجد في منطقة الزاب، بني سنة 1920م من طرف البناء الشهير "قاعة القماري" والجدارية التي على المدخل الرئيسي تشهد بذلك.

2.6 عمارة المسجد العتيق:

المسجد العتيق معماريا له شكل مختلف تماما عن مساجد المنطقة، حيث تعتبر هندسة المسجد من الطراز العثماني، يشبه المساجد التي بنيت من طرف "قاعة القماري" في منطقة واد سوف بداية من الزاوية التجانية بقمار التي كانت أول عمل أنجزه في مشواره المهني¹⁰.

¹⁰- سكيج، أحمد، 2014م، ص. 595.

كان يتربع المسجد قديما على مساحة 500م²، وكما امتاز بمنارة عثمانية الطراز مبنية بالطوب (الصورة 01)، ووصفها بورويبة قائلاً: "وفي البرج الذي يوجد في الزيبان يندھش المرء لما يرى هناك مسجدا يختلف شكله تماما عما سبق ذكره حيث أن منارته المبنية بالطوب يأتي أساسها على شكل مربع ثم تتخذ شكلا مسدس الزوايا ثم شكلا مستديرا وتعود في قمته إلى شكلها الأساسي المربع"¹¹، كما امتاز المسجد بقبب ناصعة البياض وأقواس وأروقة فسيحة. وللجامع قديما في قبلته مكتبة، كما يوجد به حمام متعدد الغرف وبئر عذبة ومقبرة للأشراف، ودار السبيل المعدة للغرباء، ولم يتبقى من المسجد سوى قاعة الصلاة (الصورة 02) مساحتها حوالي 180 م² (المخطط 01، والمقطع 01).

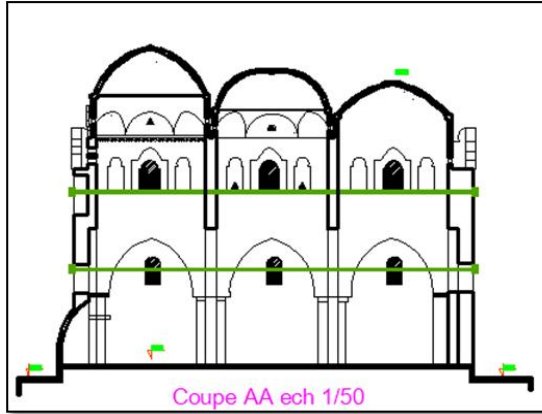


الصورة 02: مشهد لواجهة المسجد العتيق، عن: سخي عادل، 2020م.

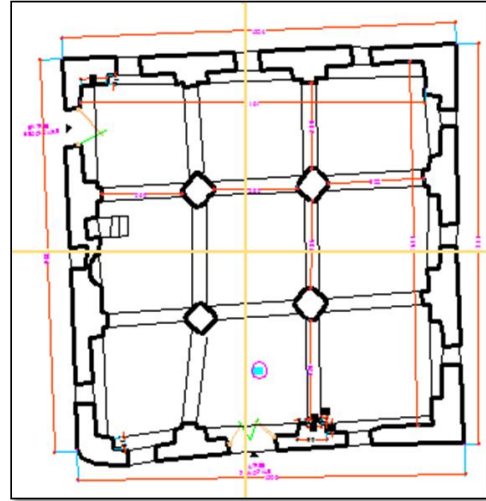


الصورة 01: مشهد للمسجد العتيق ولمنارته قبل سقوطها، عن: بورويبة رشيد، 1970م، ص ص. 72-73.

¹¹- بورويبة، رشيد، 1970م، ص ص. 72-73.



المقطع 01: مقطع AA للمسجد العتيق. عن: سخري عادل، 2020.



المخطط 01: مخطط الطابق الأرضي للمسجد العتيق. عن: سخري عادل، 2020.

7. دور المساجد العتيقة قديما وعمرنة الواحة (الصورة الجوية 01):

بالإضافة إلى عمارة المسجد العتيق الذي يعد فريدا من نوعه في منطقة الزاب وغناه بالتفاصيل والعناصر المعمارية التي تجسد براعة وإتقان حرفة البناء والتصميم. كما تضاف إلى سجل المسجد القيم الفنية التي تميز هذا المسجد عن سائر مساجد الزيبان، وخاصة المنارات الفريدة من نوعها من ناحية الطراز والأعمدة الحجرية التي تمثل البساطة والجمال، مما يثمن البعد الروحاني داخل قاعة الصلاة، ولا زال المسجد يحافظ على طرازه القديم حيث بني من المواد الأولية المتواجدة في البلدة، مما عزز من اندماج المسجد العتيق في محيطه الواحاتي الصحراوي، ويرجع ذلك لدقة الصانع وبراعة التقنية واستعمال مواد بناء مستدامة. فالمسجد العتيق مدمج مع محيطه العمراني، فقد كان سابقا يلفه سور من الخارج يلامس حارات البلدة القديمة الضيقة، يضيف لها المسجد مساحة من الجمال بمنارته العالية العثمانية الطراز.

لذا فعمارة المسجد لم ينفصل عن السياق الثقافي والاجتماعي والتاريخي لمنطقة الزاب، لأن تشييد المسجد كان على درجة كبيرة من الأهمية لما له من دلالة في مجال العمارة التقليدية للمنطقة، لأن ما يقوم الإنسان بتشبيده لا يرتبط بالناحية الجمالية والفنية فحسب، وإنما يرتبط بالإنسان نفسه¹².

¹² - عليّة، حسين، 2007م، ص. 330.



الصورة الجوية 01: مخطط الكتلة للجامع العتيق، عن: قوقل إيرث 2021م.

8. الوضعية الحالية للمسجد العتيق (الصورة 02):

حالة التدهور التي آل إليه المسجد العتيق، أصبحت تهدد بانهياره في أي لحظة لاسيما بعد سقوط عقدين من السقف وذلك بسبب العوامل الطبيعية وإهمال الأهالي له. كما أن قيمة المسجد ضاعت بعد أن تحول إلى أطلال وأصبح مهجورا حيث توسع السكان على حسابه وحاصروه، فهو بذلك فاقد لهيبته ومكانته داخل محيطه العمراني، كما كان في السابق.



الصورة 03: توسع السكان على حساب المسجد مع محاصرته وحالة التدهور التي آل إليها المسجد العتيق. عن: سخري عادل، 2020م.

9. اقتراح إعادة ترميم المسجد العتيق ببرج بن عزوز لأجل إحياء العمران التقليدي:

يأتي التركيز المتزايد على إبراز ملامح وهوية العمارة المحلية للمساجد العتيقة، للوصول إلى مفهوم واضح حول البيئة العمرانية وما يرتبط بها، ولكي لا تغفل هذه الأفكار والأنماط المعمارية، وحتى لا نبتعد

عن التعبير المحلي والإنساني، نقترح إعادة ترميم المسجد العتيق ببرج بن عزوز لأجل إحياء العمران التقليدي، من خلال الحفاظ في إطار قطاع محفوظ يشمل المواقع الأثرية للمساجد العتيقة، لإعادة إحياء هذه المساجد العتيقة معماريا وذلك من خلال:

- إعادة الاعتبار للمسجد العتيق داخل محيطه.
- إعادة ترميم المسجد العتيق بمادة البناء الأولية.
- إعادة إحياء العناصر المعمارية المفقودة (المنازة في المسجد العتيق).
- المحافظة على مواد وتقنيات البناء المستعملة سابقا.
- دمج المسجد العتيق معاريا مع المباني المجاورة.
- تحديد مجال حماية المسجد العتيق في الموقع.
- إرجاع المسجد العتيق إلى حالته الأولية القديمة بعد تجريده من الإضافات غير المقننة.
- الترميم بالمادة الأولية والأصلية وبنفس التقنية الأولى لضمان الطابع التراثي للمسجد العتيق.
- إرجاع طراز النوافذ والأبواب الأصلية في المسجد العتيق.
- العناية والحفاظ والتأمين للتشكيلة التراثية النادرة للمسجد العتيق.

10. الخلاصة:

إن المسجد العتيق ببرج بن عزوز له مكانة تاريخية بالإضافة إلى المكانة الروحية والدينية والعلمية والاجتماعية التي كان يتمتع بها سابقا، ودور ريادي ثقافي وقبلة لطلبة العلم ومكتبة لأهم الكتب والمخطوطات اليدوية والمصنفات وذلك بفضل العالم العلامة البحر الفهامة صاحب الطريقة الرحمانية العزوية سيدي محمد بن عزوز الذي جعل من المنطقة واحة علمية ثقافية كان يقصدها الناس فيما مضى قصد حفظ القرآن ودروس اللغة والفقه المالكي والنحو وعلم الحساب.

كما أن مميزات المسجد العتيق الهندسية والإنشائية كانت لها دور في الأنماط البنائية المحلية وفي الأنظمة التخطيطية العمرانية التقليدية، من خلال استعمال مواد بناء مستدامة حيث بنيت هذه المساجد العتيقة من المواد الأولية المتواجدة في البلدة. ولكن حالة التدهور للمسجد العتيق أفقدت المسجد قيمته بعد أن تحول المسجد العتيق إلى أطلال وأصبح مهجورا.

لذلك فيجب فتح مجال بحث لحماية تراث هذا المسجد العتيق، وذلك بإعادة ترميمه وفق أسس علمية لأجل إحياء العمران التقليدي بواحة برج بن عزوز، وحمايته وإعادة إظهار قيمته ومكانته بالمنطقة، وذلك من خلال: إعادة الاعتبار للمسجد داخل محيطه وإعادة ترميم المسجد العتيق بمادة البناء الأولية والأصلية وبنفس التقنية الأولى لضمان الطابع التراثي للمسجد، والمحافظة على مواد وتقنيات البناء المستعملة سابقا.

قائمة الببليوغرافيا:

1. جهينة بوخليفة، قويدر؛ بن ميسي، أحسن، 2016م، "تطور النظام الواحي وعلاقته بالقصور في الصحراء المنخفضة - الزيبان - قصر طولقة نموذج"، مجلة العلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 16، 02، ص ص. 11-23.
2. بورويبة، رشيد، 1970م، المساجد في الجزائر، الجزائر، سلسلة الفن والثقافة.
3. سخري، عادل، 2005م، "دراسة العوامل المؤثرة في تشكيل المآذن - حالة مساجد مدينة قسنطينة - (منذ القرن الثاني عشر الميلادي -1136م- حتى يومنا هذا)"، رسالة ماجستير، قسم الهندسة المعمارية، كلية علوم المهندس، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر.
4. سكيرج، أحمد، 2014م، كشف الحجاب عن تلاقي مع الشيخ التجاني من الأصحاب، ط 01، الرباط، دار الأمان.
5. شحادة، زياد محمد، 2010م، "أثر التصميم العمراني على تفعيل دور المساجد في قطاع غزة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية"، رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
6. عليّة، حسين، 2007م، "العمارة الواحاتية، مدخل لدراسة الثقافة والمجتمع"، ضمن: كتاب قضايا منهجية معاصرة، كلية الآداب، قسم الاجتماع، القاهرة، جامعة القاهرة.
7. معروف، إيمان، 2014م، "ترميم وإعادة تأهيل الجامع العتيق ببرج بن عزوز (طولقة) بسكرة وإرجاعه لوضعه السابق"، رسالة ماستر، قسم الهندسة المعمارية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.
8. النعمان، حسام يعقوب؛ والطحلاوي، رضوان، 2008م، "تأثير البيئة الطبيعية والثقافية في تشكيل البنية الفضائية"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، 24، 02، ص ص. 311-341.
9. الولي، طه، 1988م، المساجد في الاسلام، بيروت : دار العلم للملايين، الطبعة الأولى.

10. BENKARI-BOUDIDAH, N., 2004, L'architecture des mosquées Ibadites au M'zab, à Djerba et en Oman, Lecture des principes de conception et de construction, Thèse de Doctorat d'urbanisme et aménagement du territoire, Institut d'urbanisme, Université Grenoble II, France.

11. UREY, O., 2013, "Transformation of Minarets in Contemporary Mosque Architecture in Turkey", in International Journal of Science Culture and Sport, December, pp. 95-107.

12. YUSUF AWAN, M.; MUJAHID, B.; GULZAR, S.; ZAFAR, M., 2014, "History of Mosque Architecture in Lahore", in Journal of Islamic Thought and Civilization, 04, II, pp. 22-37.